

13. تمكين المغرب من الحق في نصيبه الطبيعي من النخب العلمية

و هذا العبء يقع على كاهل التعليم بدء من أول فصل في المدرسة الابتدائية . فالمدرسة هي مشتل النخب العلمية إن هي كانت مدرسة تلقين المعرفة و سقل المواهب و ليس مدرسة محو الأمية لمدة ست سنوات من فرط استنصغار عقول التلاميذ و الاستخفاف بمؤهلاتها و مقدراتها الذهنية، كما هو حالها اليوم

1. شيوع المعرفة بالمجتمع هو أساس التنمية

مجرد تواجد وفرة موارد طبيعية من دون تواجد مجتمع المعرفة لا تخلق تنمية. بل بالعكس، فكثيرا ما تُعمق تلك الثروات الطبيعية تخلف أي مجتمع ما دام مُكبلا بالجهل و الأمية، فيتفاقم فيه الفساد و من تم يتفاقم فقره و بؤسه. وفرة الموارد الطبيعية تحت غيوم و ظلمة الأمية، كثيرا ما تجلب أطماع الأقوياء، فتجلب معها حتما صراهم عليها من خلال حروب بالوكالة بين أهل الأرض. و بذلك تتحول وفرة تلك الثروات الط بيعة من نعمة إلى نقمة على الجميع، من حكام و محكومين.

أما توفر حتى مجرد موارد بشرية مؤهلة معرفيا، من دون تواجد أية موارد طبيعية، فتخلق قيمة مضافة قوية و تخلق تنمية و و توفر للمجتمع فرص العيش الكريم. و لنا في اليابان خير دليل على ذلك. أما وفرة الموارد الطبيعية مشفوعة بوفرة الموارد البشرية المؤهلة، فتجعل من البلد قوة اقتصادية و سياسية في محيطها الإقليمي و حتى في العالم كما هو الحال بالولايات المتحدة الأمريكية.

و المعرفة المقصودة هنا ليست هي مجرد القدرة على القراءة و الكتابة . فقد تنتفي أمية القراءة و الكتابة في مجتمع ما من دون أن يصبح مجتمع معرفة، و بالتالي يتعذر عليه ان يصبح أرضا خصبة للتنمية. مجتمع المعرفة هو المجتمع المتمكن من ثقافة و معرفة أسلافه و المُدمن على استيعاب علوم عصره و على تحيين ما يستجد فيها استهلاكا و إنتاجا. و يقع ذلك على كاهل النخبة العلمية بكل مجتمع. و توفير هذه النخبة العلمية يبدأ من المدرسة الابتدائية إن كانت مدرسة المعرفة كما كان الحال من قبل، *L'école du savoir et non pas l'école d'alphabetisation*

2. دور المدرسة في اكتشاف و إعداد بدور النخبة العلمية.

بحسب التوزيع الطبيعي للمؤهلات الذهنية على منحى Gauss، فلكل قوم على وجه الأرض نصيبه من النجباء و النبغاء. و إذا ما تم اكتشافهم مبكرا من بين التلاميذ و الطلبة ثم حَسُن إعدادهم و تكوينهم فقد يشكلون بدور تلك النخبة العلمية المستقبلية و التي تجعل و تُبقي المجتمع مجتمع معرفة بالمعنى الذي أشرنا إليه. و هذه النخبة في المقدمة أمام نخبة المقاولين المستثمرين و الكفاءات الحرفية و المهنية هي التي تشكل قاطرة التنمية بكل بلد. و من أهم أدوار المدرسة إتاحة الفرص الكافية لاكتشاف و إبراز و إعداد هذه النخبة، كما هو شأن الأندية الرياضية التي تعمل على اكتشاف و إبراز و إعداد الأبطال.

3. دور السن المبكر في إبراز المواهب

البطل هشام الكروج مثلا و غيره ما كان لأحد أن يسمع بهم لو لا وجود الأندية المناسبة التي تعمل على فرز المتوسطين و المتفوقين من بين روادها. فيه و في غيره مخزون potentiel التائق و لكن لولا اهتمامه بالعدو و لو لا مرورها بالنادي المناسب لكبر من دون أن يعرف حتى هو بنفسه أنه كان بإمكانه أن يكون بطلا. و لو ولج النادي المناسب في سن متأخرة لفات حتى على النادي المناسب فرصة إعداد و تأهيله بالشكل الذي وصل إليه. التمارين و التدرييب و التعليم المناسب في سن م متأخرة ينقص من مخزون مؤهلاتهم بالتآكل كالصدى في الحديد و يفوت على

التلاميذ فرص إبرازها و الاستفادة منها في الوقت المناسب . و عليه فالتعليم الابتدائي مرحلة حرجة في عمر كل طفل.

و هكذا كان الحال بالمدرسة المغربية حتى نهاية السبعينيات . و في قناة الجزيرة ببرنامج "رائدات" و جاء في شهادة عالمة الفلكية العالمية الدكتورة مريم شديد، العاملة اليوم في أعلى درجات بأعلى مراكز و مرصد البحث في هذا العلم بفرنسا، أن أباها الأكبر منها أهداها كتابا في علم الفلك باللغة الفرنسية فور نجاحها في الشهادة الابتدائية من مدرسة عمومية في نهاية السبعينيات . و فرحت به و **قـرأتـهـ** . معنى ذلك أنها في نهاية الابتدائي نمت عندها موهبة النظر في السماء و في نجومها مع الشغف بمحاورتها لاكتشاف أسرارها، مما حفز أباها بإهدائها ذلك الكتاب . و الشاهد عندنا هنا علاوة على نمو ذلك الحب للعلم بفضل المدرسة، أنها في نهاية الابتدائي العمومي و عمرها إثني عشر سنة كان في مقدورها و بحسب شهادتها قراءة الكتاب المذكور باللغة الفرنسية و فهم جل ما جاء فيه ، في حين أن تلميذ السادسة ابتدائي لا يكاد يقرأ حتى باللغة العربية و بحسب تقرير المجلس الأعلى للتعليم. و أمثال الدكتورة مريم شديد من نخب تلك الأجيال التي ظهرت بفضل المدرسة العمومية حتى نهاية السبعينيات هم كثيرون بالمغرب و بخارجه.

4. دور مادة الرياضيات في اكتشاف و إعداد بدور النخب العلمية.

طبيعة مادة الرياضيات تعتمد التحليل و المنطق و الدقة و التجريب و التجريد . و هذه الميزات هي أساس باقي العلوم من فيزياء و كيمياء و علوم طبيعية . و هذه العلوم هي أساس الطب و الصيدلة و الاقتصاد و كل أصناف الهندسة و التكنولوجيا و غيرها من العلوم التي تخلق الكم الهائل من القيم المضافة بكل اقتصاد . و مادة الرياضيات بالمدرسة الابتدائية و بباقي الأسلاك ، هي التي من شأنها أن تُبرز من بين التلاميذ بالمدرسة الابتدائية و الطلبة بباقي تلك النخبة النجبية ذات المؤهلات الذهنية العالية . و العناية اللازمة بتلك النخبة هي التي تمكن مستقبلا من تنمية و تجديد النخبة العلمية بالبلاد . من أجل ذلك لا بد من عناية خاصة بكفاية الرياضيات بكل المستويات الدراسية بالابتدائي، على أساس أن تصبح تلك المادة في الثانوي الإعدادي قبل التأهيلي حصرا على من تميز فيها من الطلبة من دون غيرهم، حتى يتمكنوا من التفوق فيها بدون أي عائق. و من العوائق اختلاط هؤلاء الطلبة من ذوي الكفاية في الرياضيات بغيرهم من الطلبة في تلك الأسلاك التعليمية . فما هي الكفاية في الرياضيات التي تتميز بها بذور النخب العلمية المستقبلية ؟

5. الكفاية في الرياضيات.

ذو الكفاية في الرياضيات هو التلميذ الذي يستطيع التعامل **السليم و السريع** مع أية مسألة من مستوى تعليمه ، من أجل

- (1) فك رموزها
- (2) استخراج معطياتها
- (3) التخطيط للجواب السليم على أسئلتها
- (4) التنفيذ و الإنجاز باستعمال المهارات الحسابية المناسبة من مخزون المهارات الحسابية بذهنه.

و لا كفاية في الرياضيات للتلميذ الذي تقتصر معرفته على إتقان العمليات الأربع و التحويل و غيرها من المهارات الحسابية. كل ذلك مجرد أدوات، من لا يُحسن استعمالها من أجل حل المسائل الحسابية من مستواه، فلا يعدو أن يكون مثل مجرد آلة حاسبة، و ما يزال أميا في الرياضيات . و يتحقق إفراز التلاميذ الموهوبين في الرياضيات بتواتر وضع جميع تلاميذ الابتدائي أمام رفع تحدي حل المسائل الحسابية حتى تصبح عند الموهوبين من بينهم بمثابة

هواية رياضية للتسلية. و لا بد أن تكون كتب الرياضيات زاخرة بالمسائل الحسابية نوعا و كما بدلا من أن تقتصر على التداريب و التمارين التطبيقية في المهارات.

6. الدور التربوي لمادة الرياضيات

و لمادة الرياضيات دور تربوي أساسي في تكوين شخصية المتعلم. حياة الإنسان مفروشة بالمشاكل المتنوعة و المتتالية بوثيرة تختلف من وقت لآخر, و لا تنضب. و السر في النجاح في الحياة يكمن بالضبط في التعامل السليم مع تلك المشاكل التي لا حصر لها . و من المزايا التربوية الناجمة عن التمكن من الكفاية في مادة الرياضيات , تمكين المتعلم من المنهجية المنطقية و العقلانية في حل المشاكل اليومية التي تعترض حياته في كل الميادين. النجاح في حياة الإنسان يكمن في التعامل مع مشاكلها المتعددة و المتتالية بنفس الطريقة التي تعلّم بها في المدرسة التعامل مع المسائل الحسابية, من تشخيص و تحليل و دقة و ترتيب للمعطيات و جرد لكل الحلول الممكنة و تجريبيها و جرد إيجابيات و سلبيات كل منها, ثم اختيار الحل الأقل كلفة ثم التخطيط المحكم للإنجاز ثم التنفيذ.

و الذي يقف عاجزا و مرتبكا أمام مسألة حسابية في حياته الدراسية لا يدري من أين يبدأ و لا أين ينتهي , قد يكون ممن يتصرف في حياته العادية بعشوائية , فلا يدرك عواقب الحلول التي يسلكها في تخطي مشاكله اليومية إلا بعد فوات الأوان, و يؤدي عنها الثمن باهظا.

7. جدوى و ضرورة إسناد تدريس الرياضيات و باقي العلمية لذوي الاختصاص.

و غالبا ما نُفوّت على أبنائنا و بناتنا في الابتدائي و على البلاد , فرصة تمكينهم من الفوائد التربوية لمادة الرياضيات و باقي العلوم من جهة, و فرصة اكتشاف النجباء المؤهلين من بينهم لهذه المواد من جهة ثانية. و نُفوت بذلك فرصة إعدادهم كي يشكلوا مستقبلا الامتداد الطبيعي للنخبة العلمية المتوفرة بالمجتمع . و نُفوت تلك الفرص الثمينة بإسناد تدريس مادة الرياضيات بالابتدائي لأساتذة يعترفون بضعفهم فيها و يكرهون حتى تدريسها و يخافون من حرمان تلاميذهم من التفوق فيها . و هكذا يُحرم المغرب كذلك من عنصر تربوية أجياله الصاعدة على السلوكيات المتسمة بالمنطق و العقلانية و يُحرم في نفس الوقت من فرصة إفراس نصيبه من الطاقات العلمية من بين شبابه.

و عليه فيجب أن يصبح إسناد تدريس الرياضيات و المواد العلمية بالابتدائي لذوي الاختصاص من دون

غيرهم. و يتحقق مرة أخرى هذا الهدف إذا ما :

- (1) حُمل المتنفذ إقليميا في المؤسسات التعليمية مسؤولي نتائجها في نهاية كل سلك و كل سنة دراسية,
- (2) و مُنح حرية التصرف في البرامج و المناهج و اختيار الكتب المدرسية و في تنظيم التعليم بتراب نفوذه,

فسيكون من مصلحته الضغط بدوره في كل اتجاه صحيح , و منها إسناد مادة الرياضيات و المواد العلمية , انطلاقا من الابتدائي, للأساتذة المتخصصين في تلك المواد.

8. التركيز هنا على الرياضيات لا يعني إهمال باقي المواد

و لا يعني هذا أن الباقي من المواد التعليمية عديمة القدرة على إفراس نخب في باقي الميادين . ففي الذهن مجموعة ذكاءات . و المجتمع وحدة متكاملة في حاجة لكل طاقاته الع لمية و الأدبية و الثقافية و المهنية و الفنية و السياسية و غيرها. و مدرسة المعرفة حيث يتم التركيز على تلقين شتى المعارف و العلوم هي الكفيلة بفرز كل هذه

المؤهلات موزعة بين تلاميذها بصفة طبيعية حتى يجد كل منهم ضالتها المنشودة التي تمكنه من أخذ مكانه المناسب بالمجتمع.

كتابة تعليق	الرجوع إلى الصفحة الرئيسية....
-----------------------------	--